

شرح كتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٢٥)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقال إبراهيم.

[وقال إبراهيم: ((بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)) [الأنبياء: ٦٣] إلى قوله: ((أَفَلَا

تَعْقِلُونَ)) [الأنبياء: ٦٧] فلم يعب إبراهيم أصنامهم وآلهتهم التي يعبدون بالعجز عن الكلام إلا وأن إلهه

متكلم قائل [.

ما شاء الله. نعم.

[ففيما ذكرنا من ذلك بيان بين لمن آمن بكتاب الله وصدق بما أنزل الله، وقال الله عز وجل: ((قُلْ لَوْ كَانَ

الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)) [الكهف: ١٠٩]

وقال: ((وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ

)) [لقمان: ٢٧]. وصدق وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جمع مياه بحور السماوات والأرض

وعيونها، وقطعت أشجارها أقلاماً لنفدت المياه وانكسرت الأقلام قبل أن تنفذ كلمات الله، لأن المياه

والأشجار مخلوقة، وقد كتب الله عليها الفناء عند انتهاء مدتها، والله حي لا يموت ولا يفنى كلامه، ولا يزال

متكلماً بعد الخلق كما لم يزل متكلماً قبلهم، فلا ينفد المخلوق الفاني كلام الخالق الباقي الذي لا انقطاع له

في الدنيا والآخرة].

نعم، وهذا غاية ما يصله الخيال، خيال الآدمي، وهو أن تتحول جميع بحار الأرض إلى حبر، ومداد، وتتحول الأشجار إلى أقلام، ويكتب بها حتى تفتى الأقلام ويجف هذا الحبر، ومع ذلك لا ينفد كلام الله، لأنه صفة من صفاته وصفاته لا تفتى ولا تبيد. نعم.

[ولو كان على ما يذهب إليه هؤلاء الجهمية أنه كلام مخلوق أضيف إلى الله، وأن الله عز وجل لم يتكلم بشيء قط، ولا يتكلم بشيء قط، ولن يتكلم لنفد كل مخلوق من الكلام قبل أن ينفد ماء بحر واحد من البحور، لأنه لو جمع كلام خلق الله كلهم من الجن والإنس والملائكة والطير والبهائم كلها، وجميع أعمالهم، وكُتِبَ بماء بحر واحد من البحور، لكتب كل ذلك ونفد قبل أن ينفد ماء بحر واحد، ولا عشرُ عشرٍ بحر واحد، ولكنه كلام لا انقطاع له، فلا ينفد ما لا يفتى، وينقطع ما يبقى].

نعم، لو كان ذلك على كلام هؤلاء الجهمية، وقد بينا في مستهل هذا الدرس أن الجهمية ينكرون صفة الكلام لله عز وجل، ويزعمون كما تزعم المعتزلة، أن الكلام المضاف إليه كلام مخلوق، فإذا كان مخلوقاً فالمخلوق يفتى وينفد. نعم.

[ثم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن بعدهم، جملة كثيرة متظاهرة بتحقيق كلام الله وتشبثه، وسنأتي منها ببعض ما حضر إن شاء الله.

قال: حدثنا محمد بن كثير العبدي، أنبأنا إسرائيل عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: { كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف، فيقول: ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلمات ربي }.

نعم، هذا حديث صحيح بحمد الله، ويروى أحياناً { ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي }، واللفظ متقارب جداً، وهذا يدلنا على ما ذكرناه في ما مضى، أنه يجب أن تكون موعظة الداعي إلى الله عز وجل بالقرآن العظيم ((وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)) [الأنعام: ١٩]، فلا يقولن قائل لا نتكلم مع الناس بالأدلة والنصوص، نخاطبهم بالعقل لأنهم لا يسلمون بالنصوص، كلا، بل نقول: نكلمهم بنطاق الكتاب وبصحيح السنة، فإنها متضمنة للدلالة النقلية والعقلية معاً، ولها من التأثير والإقناع ما ليس لسائر كلام الناس، فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على

القبائل قبيلة قبيلة، ويقول: { ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلمات ربي أو كلام ربي } فهذا يدل على إثبات صفة الكلام له سبحانه. نعم.

[قال: حدثنا شهاب بن عباد الكوفي، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه }.

قال: حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أشعث الحداني عن شهر بن حوشب [.

بافتح الشين؟ طيب. نعم.

[عن شهر بن حوشب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه }.

قال: حدثناه عقبة بن مكرم البصري، قال: حدثنا مَعلى بن أسد قال: حدثنا محمد بن سواء قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن أشعث الحداني عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه }.

هذه الأحاديث الثلاثة التي سبقت أشار إلى ضعفها، كذلك عندك في الحاشية؟ عندي أشار المحقق إلى حديث أبي سعيد الأول أنه ضعيف جداً، وفي الحديث شهر بن حوشب، طبعاً هو مرسل، لأن شهر لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا حديث أبي هريرة أشار إلى ضعفه. نعم.

[قال: حدثنا علي بن المديني قال: حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري ثم السلمى قال: سمعت طلحة بن خراش بن الصمة الأنصاري ثم السلمى، يقول: سمعت جابر بن عبد الله، يقول: { نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا جابر مالي أراك مهتما؟ قال: قلت: يا رسول الله استشهد أبي، وترك ديناً عليه وعيلاً، فقال: ألا أخبرك، ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدي، تمن علي أعطك، قال: يا رب تحيني فأقتل فيك الثانية، فقال الرب تبارك وتعالى: إنه سبق

مني أهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، قال: فأنزل الله عز وجل: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا)) [آل عمران: ١٦٩] حتى أنفذ الآية].

نعم، والشاهد فيه، قوله: { ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً }، وذكر أن هذا حديث حسن لغيره، وفيه من الفوائد حسن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وشفقته عليهم، لقوله: { يا جابر مالي أراك مهتماً }، فينبغي للمؤمن أن يتفقد إخوانه إذا رأى ما يوجب ذلك، وأما إذا لم يكن ثم داعٍ فلا ينبغي أن يدخل في نفوسهم الشك، لأنه من الناس من إذا قيل له مالك كذا وكذا وهو ليس كذلك ظن في نفسه أن فيه شيء، فنشأ عنده وسواس أو وهم. نعم.

[قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد يعني ابن سلمة، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { لقي آدم موسى فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك الجنة، وأسجد لك ملائكته، ثم فعلت ما فعلت، فأخرجت ذريتك من الجنة؟ فقال آدم: يا موسى أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته، وكلمك وقربك نجياً، وآتاك التوراة، فبكم تجده كتب علي العمل الذي عملت قبل أن يخلقني؟ قال: بأربعين سنة، قال: فبم تلومني يا موسى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى {].

نعم، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا الحديث حديث مشهور، مروى في الصحيحين وغيرهما، وهو حديث محاجة آدم لموسى، هو ليس فيه حجة لمن أراد الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وترك الطاعات، فإن آدم عليه السلام إنما احتج بالقدر بعد التوبة، ويجوز الاحتجاج بالقدر بعد التوبة، وكذلك يجوز الاحتجاج بالقدر إذا كان ذلك من باب المصائب لا من باب المعاييب، والمعنيان متقاربان، والمقصود من هذا أن يُفَرَّقَ بين حالين، بين من يحتج بقدر الله على معصية الله وهو مقيم عليها، وبين من يحتج بقدر الله على أمر قد وقع منه وندم عليه وتاب وأقنع، ورأى أنه مصيبة وليس ذنباً، يعني بمعنى أنه صار في حقه بمرتلة المصيبة، فالاحتجاج بالقدر في باب ... سائغ، والاحتجاج بالقدر بعد التوبة سائغ، مثال ذلك: لو أن إنساناً رأى رجلاً كان مسرفاً على نفسه في المعاصي، ثم تاب من ذلك وأصلح، ثم قال له: يا فلان، أنت كنت

تفعل كذا وتغشى كذا وتفعل كذا، فقال هذا الرجل: هذا أمر قد كتبه الله، ساغ منه ذلك، لأنه لا يقصد بذلك الطعن أو الاحتجاج بالقدر على المعصية، بخلاف لو أنه قال ذلك وهو مقيم على المعصية، كأن يكون يحتسي الخمر ويقول له: كيف تشرب الخمر؟ فيقول: هذا أمر قد كتبه الله ألا تؤمن بالقدر؟ ثم يأخذ رشفة، هذا لا يتم الاحتجاج بالقدر. فالمقصود أن آدم قد احتج بأمر قد قضاه الله وقدره منذ الأزل، وهو قد ندم عليه وتاب، وتاب الله عليه، فحينئذ ساغ الاحتجاج بالقدر.

ونستفيد أيضاً من هذه الحاجة: أنه من قوة الحجاج أن يقدم الإنسان بين يدي محاجته أموراً تجعل المخاطب يلتزم ويُبصر ما هو عليه، تأملوا كيف أن موسى ذكّر آدم بحاله، أنت آدم الذي خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، ثم تأملوا أيضاً في آدم حينما خاطب موسى، أنت موسى الذي كلمك الله وقربك نجياً واصطفاك برسالاته.. الخ، فإن هذا مما يجعل المناظر يقدر مقالته، فهذا يحسن أو يصلح في مقام الحجاج، كأن يقال مثلاً: إذا أردت أن تعظ إنساناً من أهل العلم، تقول له: أنت أنت مع ما علمك الله يصدر منك كذا وكذا؟ فيكون هذا محرراً له ودافعاً له أو مثيراً للحياء في نفسه وحاملاً له على الرجوع، فلا بأس باستعمال هذا المسلك في بعض المواقف.

والشاهد منه هو قوله: وكلمك وقربك نجياً، فقوله: كلمك، إثبات صفة الكلام لله تعالى، وكذلك قوله: قربك نجياً، إثبات المناجاة وهي الصوت لمن قرب. ثم قال.

[قال: حدثنا أبو سلمة، قال: حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحميد عن الحسن عن جندب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: { لقي آدم موسى، فذكر مثله، إلا أنه قال: وكلمك وآتاك التوراة، وقربك نجياً؟ قال: نعم، قال: فأنا أقدم أم الذكر؟ قال: الذكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى ثلاثاً }].

نعم، أشار إلى أن هذا حديث معلول، وقوله: فأنا أقدم أم الذكر، الذكر المراد به اللوح المحفوظ، أي أنه قد كتب ذلك عنده في الذكر. نعم.

[قال: حدثناه أبو سلمة قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا أبو هارون عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وزاد فيه: { أن يا موسى أرأيت ما علم الله أنه سيكون بد من أن يكون؟ }].

طيب، قال: هذا حديث منكر، نعم وفي الصحيح غنية عنه. نعم.

[قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه؟ فقال له قولاً كبيراً لا أحفظه: أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته، وكلمك تكليماً، تلومني أن أعمل عملاً قد كتبه الله علي قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى }].

نعم، وليس معنى قوله: أغويت الناس يعني أنك دللتهم على سبيل الغواية، حاشا وكلا، وإنما بمعنى كأنك توهتهم الطريق وخرجت بهم عن الحال الحسن إلى حال آخر، فكنت سبباً في ذلك، يعني لكونهم خرجوا من الجنة بهذا، طبعاً المتأمل في هذا يدرك حكمة الله البالغة في كتابة ذلك على آدم، لو شاء الله سبحانه وتعالى لأسكن آدم وزوجه الأرض منذ البداية، وأمرهم ونهاهم، لكن الله سبحانه وتعالى بسابق حكمته أراد أن يشعر آدم وبنوه بالحنين إلى هذا المنزل، وبالشوق والتوق إلى الرجوع إليه، فلهذا يجد كل واحد منا في سويداء قلبه نزوعاً إلى هذه الجنة الموصوفة، ورغبة في الوصول إليها، وقد عبر ابن القيم رحمه الله عن ذلك بأبيات جميلة يقول فيها:

منازل كالأولى وفيها المخيم

نُرد إلى أوطاننا ونُسَلِّم

نُرد إلى أوطاننا ونُسَلِّم

وشطت به أوطانه فهو مغرم

فحيا على جنات عدن فإنها

ولكننا سبي العدو فهل تُرى

من العدو الذي سبانا؟ الشيطان.

ولكننا سبي العدو فهل تُرى

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى

صدق، الغريب إذا نأى عن أهله و ... أحس بالشوق فهو مغرم.

وأي اغتراب فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداء فينا تحكّم

إي والله، فهذا جعله الله تعالى حكمة، وجعل هذا الذي جرى بين آدم والشيطان من الاستدراج والاستزلال درساً لأمته إلى يوم القيامة، يعني انظروا يا بني آدم كيف صنع الشيطان بكم وكيف استزلكم عن هذا النعيم بالإغواء، فلا تكررُوا الخطأ، ((يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ)) [الأعراف: ٢٧]، ففي هذه الحادثة من الحكم والدروس العظيمة شيء عظيم لبني آدم، وإلا فلو شاء الله لأسكن آدم وزوجه الأرض ابتداءً وابتلاهم ... لكن يفوت كثير من هذه الحكم، فالله حكيم في قضائه وقدره. نعم.

[قال: حدثنا الأصبغ بن الفرج المصري، قال: أخبرني ابن وهب عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال: نعم، قال: الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال: نعم، قال: فما حملك على أن أخرجتنا من الجنة ونفسك؟ فقال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: أنت نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: وأنت الذي كلمك الله من وراء الحجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت في كتاب الله أن ذلك كان في كتاب قبل أن أُخلق؟ قال: بلى، قال: فبم تلومني على شيء سبق من الله عز وجل القضاء فيه قبل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: فحج آدم موسى صلوات الله عليهما {].

نعم، ولا تعارض هذه الأحاديث بمحض العقول بأن يقول قائل: كيف وأين، الله تعالى على كل شيء قدير، فإن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يجمع بين آدم وموسى في حياة البرزخ ويجري بينهما هذا، كما أن نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قد قابل عدداً من أنبياء الله ومنهم موسى، وكلمه وأجابه وراجع ربه فيما قال له، فلا يجوز أن تُعارض الأحاديث الصحيحة بالاحتمالات العقلية بالأمر المعهود، فإن الله تعالى على كل شيء قدير. نعم.

[قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: أنبأنا النضر بن شميل، قال: أنبأنا أبو نعامة العدوي، قال: حدثنا أبو هنيذة البراء بن نوفل، عن والان العدوي، عن حذيفة، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديث الشفاعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { فيأتون إبراهيم فيقول: ليس ذلكم عندي، فانطلقوا إلى موسى، فإن الله كلمه تكليماً فيقول موسى: ليس ذلكم عندي }.

قال: حدثنا عبد الغفار بن داود الحراني أبو صالح، قال: حدثنا ابن هبة قال: حدثنا الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، عن رجل سمع عبادة بن الصامت يقول: { إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج فقال: إن جبريل أتاني فقال: اخرج فحدث بنعمة الله التي أنعم بها عليك، فبشرني بعشر لم يؤتها نبي قبلي: بعثني إلى الناس جميعاً، وأمرني أن أنذر الجن، ولقاني كلامه وأنا أُمي، قد أوتي داود الزبور، وموسى الألواح، وعيسى الإنجيل }].

أشار إلى ضعف هذا الحديث، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم له من الخصائص الكونية والقدرية وله من الخصائص الشرعية الشيء الكثير، منها ما هو له خاصة، ومنها ما لأمته، وهذه الأمور التي حدثت بها على فرض صحة الحديث، قال: { بعثني إلى الناس جميعاً } هذا ثابت، فإنه ما من نبي إلا وأرسله الله تعالى إلى قومه خاصة، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى الناس كافة، يقول الله عز وجل: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)) [الأعراف: ١٥٨]، ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) [الأنبياء: ١٠٧]، فدل ذلك على هذا المعنى، { بعثني إلى الناس جميعاً، وأمرني أن أنذر الجن }، صحيح، يقول الله عز وجل: ((وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ)) [الأحقاف: ٢٩]، { ولقاني كلامه وأنا أُمي }، نعم، وهذا هو مراد المصنف من إirاده لهذا الحديث لقوله: { كلامه }، فدل على إثبات صفة الكلام لله عز وجل. ثم قال.

[قال: حدثنا عبد الله بن صالح المصري أن معاوية بن صالح حدثه عن أبي بكر يعني ابن أبي مریم، عن عطية وهو ابن قيس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { ما من كلام أعظم عند الله من كلامه، ما رد العباد إلى الله كلاماً أحب إليه من كلامه }].

نعم، أشار إلى ضعفه، وفيه عبد الله بن صالح المصري، كاتب الليث، يروي عنه كثيراً. نعم.

[قال: حدثنا سلام بن سليمان المدائني، قال: حدثنا المسعودي عن أبي عمر، عن عبيد بن الحساس، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: { أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد، فجلست إليه، فقلت: أي الأنبياء كان أولاً؟ قال: آدم، قلت: ونبياً كان؟ قال: نعم، نبياً مكلماً }.

قال: وحدثنا الربيع بن نافع، قال: حدثنا معاوية يعني ابن سلام، عن زيد وهو ابن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو أمامة { أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يا نبي الله، أنبياً كان آدم؟ قال: نعم مكلماً، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون }].

نعم، هذا الحديث أصح من الذي قبله ... إن شاء الله صحيح كما أشار المخرج، وفيه أن آدم كان نبياً وكان مكلماً، أي أن الله تعالى كلمه، وهذا يدعو إلى بيان الفرق بين النبي والرسول، وقد اختلف الناس في هذا اختلافاً واسعاً، على نحو سبعة أقوال، لكن أشهرها ثلاثة:

فمنهم من قال: إن النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، وهذا قول مشهور، إلا أنه يأتي عليه أن كيف يوحي الله تعالى لأحد بشرع ولا يؤمر بالتبليغ، فقط أكون له خاصة أو لمن سأله؟ هذا في بُعد.

القول الثاني: أن النبي من أوحى إليه بشرع رسول قبله وأمر بتجديده، وأن الرسول من أوحى إليه بشريعة جديدة وأمر بتبليغها، فالرسول يوحي إليه شرع جديد، كالتوراة لموسى، والإنجيل ليعسى، والقرآن لحمد عليهم صلوات الله وسلامه، وأما النبي فهو من يوحي إليه بشرع رسول قبله ويؤمر بتجديد من درس منه، فيكون حاكماً قاضياً بشريعة من قبله، كما كان أنبياء بني إسرائيل الذين يرد ذكرهم في كتبهم، مثل مثلاً دانيال ويوشع وصاموئيل وعزرا وغير ذلك مما يذكرونه في كتبهم، إنما يجددون شريعة موسى عليه السلام، وهذا القول في الحقيقة له حظ من النظر، إلا أنه يرد عليه قول الله تعالى في شأن يوسف، يقول الله عز وجل في قصة مؤمني آل فرعون: ((وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا)) [غافر: ٣٤]، ولم يقل نبياً، مع أن يوسف عليه السلام كان يحكم بشريعة آبائه يعقوب وإبراهيم، ((مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ)) [يوسف: ٧٦]، فكان يعمل بشريعة .. ((قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ

نَجْزِي الظَّالِمِينَ)) [يوسف: ٧٤ ، ٧٥]، فحاكمهم إلى شريعة آبائهم، فيوسف عليه السلام ما جاء بشرع جديد، ومع ذلك سماه الله رسولا.

وأقرب الأقوال وهو القول الثالث، وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوات، أن الرسول هو من بُعث إلى قوم مخالفين، لأن هذا هو مقتضى الرسالة، الرسالة أنك تحمل شيء جديد لقوم لا يعهدونه، وأما النبي من بُعث في قوم موافقين، الرسول من بُعث إلى قوم مخالفين لدعوتهم، والنبي من بُعث في قوم موافقين لتعليمهم والحكم بينهم والقضاء. هذا -والله أعلم- أقرب الأقوال.

طيب، ولعلنا إذا نقف عند هذا القدر، وربما قال قائل: إذا كيف نُخْرِجُ حال آدم على هذا؟ ولا شك أن آدم حالة لا يقاس عليها، إذ أن آدم حينما أهبط لم يكن ثمّة أحد، إذ هو أبو البشر، ولكنه كان بعد ذلك في ذريته وفي ولده يعني يبلغهم رسالات الله ويتلو عليهم كلام الله. هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.